لعنة عطا الله

بين ليلة وضحاها، ظهر رجل شديد السواد، أشعث الرأس، ذو نابين طويلين وأسنان ناصعة البياض، طويل القامة، عريض المنكبين، بارق العينين، له كف عريضة، حافي القدمين، تكونت طبقة جلد قاسية أسفل قدميه تجعله يدوس بها كل شيء دون أن يُخدش أو يتألم، أملس الجسم، عاري الجسد، لا يرتدي شيئاً سوى قطعة قماش يغطي بها سوأته.

عطا الله. لم يكن هذا اسمه؛ ولكن هذا هو اللقب الذي سماه به أهل الوادي. فعلى الرغم من أن المدينة مرتفعة وباردة في الشتاء؛ إلا أن هذا الوادي، "وادي النسل"، الذي يبعد عنها 50 كيلومتراً، عكسها تماماً؛ فهو يمتاز بالدفء والجو المعتدل، إنه عبارة عن سهل عميق تحيط به الجبال

من جميع الجهات، ناهيك عن الأشجار الضخمة والفواكه المتنوعة والثمار والمياه العذبة والشلالات التي تزيد من حلاوة الجو ونقائه.

منذ أن جاء عطا الله، أصبح الوادي في أمان من الوحوش والحيوانات الضارة والمفترسة. لم يكن يحمل بندقية أو خنجراً، بل كان يتصارع مع الذئاب والضباع وكأنه شمشون الجبار. كان يطارد أصواتها في الليل، وحده، وكان يطلق زئيراً كزئير الأسد.

وعندما يصبح الأهالي، كانوا يجدون رؤوس الضباع معلقة على الأشجار الضخمة.

تناقلوا عنه القصص والأساطير. يقولون إنه أتى من وادي الموت، وإنه يتغذى على الأفاعي والحيوانات المفترسة، ويأكل اللحم النيئ وأوراق الشجر.

كان قليل الكلام، كثير الابتسام، يحبه الجميع ويفتخرون به. وكذلك الأطفال الصغار يلعبون معه ويتنزهون، حتى إن آباءهم وأمهاتهم كانوا يسمحون لهم بالذهاب معه في نزهات إلى مناطق بعيدة.

الشيخ طاهر، أحد وجهاء الوادي، والذي يملك نصفه تقريباً، أحب عطا كثيراً، وأراد أن يستخدمه. أعطاه غرفة مجهزة بمستلزماتها؛ ولكنه

كان ينام على الأرض، أو على السطح، أو يترك الشباك والباب مفتوحين؛ فهو ابن الطبيعة.

زادت العلاقة بينه وبين الشيخ طاهر. كانا يتسامران معاً، ويذهبان للصيد معاً، ويزرعان ويفلحان معاً... وفي أحيان كثيرة كان يذهب به إلى العاصمة، حتى أنه كان يحضر نقاشات واجتماعات علية القوم.

قرر الشيخ طاهر أن يزوجه بواحدة من نساء الوادي. طرق الأبواب ليقبلوا بعطا زوجاً، وعرض ثلث أملاكه؛ ولكن دون جدوى؛ فهم يزعمون أنهم لا يعرفون أصله وفصله، كما أن هيئته تلك لا تساعد على قبوله.

من هنا تغيرت الأحوال وتبدلت؛ بدأوا يشعرون بخطورته على بناتهم ونسائهم، وراحوا يتجنبونه... ودار كثير من الشجارات خلف جدران البيوت وأمامها. حتى الأطفال والأولاد صاروا يُعاقَبون إن لعبوا أو اقتربوا منه...

تحول عطا الله إلى مرض مُعدٍ لكل مَنْ يقترب منه. وعلى الرغم من قوته وجبروته؛ إلا أن قلبه كان مثل قلوب الأطفال، صافياً، ناصعاً، تخدشه كلمة غير لائقة لو مرت على مسمعه مع نسمة الهواء.

صار انطوائياً، وبدأت الابتسامة تختفي من محياه. ذبلت عيناه البراقتان والمتشبثتان بحب الحياة.

رحل عطا عن الوادي. سكن بعيداً. وفي منتصف الليل كانوا يسمعون نواحه، يُبكي النساء والأطفال، ويخيف الرجال.

استمر هذا الحال شهوراً طويلة. وذات ليلة انقطع النواح. ازداد خوفهم. شعروا بأن هذا الصمت سيكون بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة. لم يجدوا حلاً للتخلص من هذا الكابوس سوى الموت، الموت لعطا الله.

بحث عنه الشيخ طاهر في كل مكان، يريد أن يحذره من نواياهم ومن قلقهم المزعوم... لكنه لم يجده؛ مثلما أتى إليهم فجأة رحل عنهم فجأة أيضاً.

البعض قال إنه سوف يعود مثل الطوفان، ذاهباً بالأخضر واليابس... البعض الآخر قال إنه مات وأكلته الكلاب الضالة والحيوانات المفترسة... آخرون قالوا إن العرَّافة أرسلته مع رؤوس الثيران إلى وادي الموت...

استمر خوفهم وقلقهم لسنوات طويلة، تحول خلالها إلى روح شريرة تسكن الوادي؛ فعندما تحل عليهم المصائب والكوارث يظنون أنها لعنة من لعنات عطا الله.